

رسول الله في القرآن



قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ الرَّسُولِ بَرَاءَةٌ حَقٌّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ) (النساء / 170). دعوة صريحة من الله عز وجل لكافة الناس بالاستجابة والإيمان برسولٍ مُبعث منه سبحانه، يريد لكم خير الدنيا والآخرة.. فذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مواقع عدّة من القرآن الكريم، لكونه (صلى الله عليه وآله وسلم) متمم الرسالة الإلهية بكل أبعادها.

يقول تعالى: (فَإِمَّا رَحْمَةً مِنْ أَلَيْسَ لَكُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فَطَّاءً غَلِيظَ الْقُلُوبِ لَا نَفَعُكُمْ) (آل عمران / 159)، فلقد كان الذين في قلبه الذي يفيض بالسماحة، فلا يحمل سوءاً ولا قسوةً لأحد، والذين في لسانه بكلماته العذبة التي تفتح قلوب الناس عليه وعلى رسالته. وقال سبحانه وتعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) (الأعراف / 157)، فما هي عناوين حركته الرسالية؟ (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ)، ليدفع الحياة في خط الاستقامة التي يمثلها المعروف، ويبعدها عن خط الانحراف الذي يمثلها المنكر. (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ)، فكل ما أحلّ له لهم هو ما تستطيبه أذواقهم وأجسادهم وحياتهم بكل مفرداتها. (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)، فكل حرام خبيث من خلال ما يحدثه من خباثة ومفاسد في العقل أو الجسد. (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ)، والإصر هو الثقل، (وَالْأَعْلَالِ السَّيِّئَاتِ كَانَتْ عَلَيْهِمْ)، فلقد جاء من أجل أن يحطّم كل أغلال الحقد والبغضاء والشكر والكفر والتخلف والجهل وغيرها.

وفي الجانب الشعوري من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، يقول الله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) (التوبة / 128)، يتفاعل معكم، ويحسّ بما تحسّون، ويشعر بما تشعرون، ويتألم كما تتألمون، ويفرح لما تفرحون، (عَزِيزٌ عَلَايَهُ مَا عَدِيتُمْ)، والعنت المشقة، فكل ما تواجهونه من مشقاتٍ يثقله ويؤلمه، إنّه التفاعل الإنساني الروحي مع ما يعيشه الناس من حوله. (حَرِيصٌ عَلَيْهِمْ)، بأن لا تسقطوا، ولا تضلّوا، ولا تضعوا، تماماً كما تحرص الأمم على أولادها.

(بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ)، يرأف بهم، (رَحِيمٌ)، يرحمهم في كلِّ أوضاعهم وكلِّ حياتهم.. (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء / 107)، فهو الرحمة في خلقه وفي رسالته وكلِّ حركته في الحياة.

ويعطينا □ أيضاً الخطَّ العام للرسالة، في أنزَّها لا تثقل الناس، وهو قوله تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحجَّ / 78)، فلقد أراد أن يمنحهم رسالة ميسَّرة: (يُرِيدُ □ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة / 185)، وإذا أثقلت الرسالة بعض الناس، فإنَّ هذا الثقل لم يأت من الرسالة، وإنَّما جاء من خلال عبثهم الذي حوَّل اليسر إلى عسر، والانفتاح إلى انغلاق. كان النبيُّ (صلى □ عليه وآله وسلم) يحبُّ الناس، ولذلك كان يحزن على الذين يسارعون في الكفر، فهو لا يحزن على نفسه، ولكنَّه يحزن رأفةً بهم، (وَلَا يَحْزُنُكَ الْكَافِرِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) (آل عمران / 176)، كان يتألم لأنَّ الناس لا ينفثون على الهدى، وقد أنزل □ آياتٍ ليفتح فيها قلبه على الواقع، (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ السَّذِيُّ يَكُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الطَّالِمِينَ بَرَآيَاتٍ □ يَجْحَدُونَ) (الأنعام / 33).

هكذا عشنا مع النبيِّ (صلى □ عليه وآله وسلم) في القرآن، وعلينا أن نعيش روحه وخلقته ومنهجه وإخلاصه في الدعوة لربِّه وللناس، وأن نعيش رحمته ورأفته للمؤمنين، وحرصنا عليهم وتألمنا لآلامهم، (وَمَا مَحْمُودٌ إِلَّا لِأَرْسُولٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَمَاتُ أَوْ قُتِلَ انْقِلَابُكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ □ شَيْئاً وَسَيَجْزِي □ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران / 144)، فلا بدَّ من أن نتابع الطريق، وأن نتحرَّك في خطِّ الرسالة الإلهية.